مسائل منثورة

في التفسير

مكتبة / د. مازن عبد القادر المبارك

مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني لابن بري المتوفى سنة ٥٨٢ هـ

الدكتور
حاتم صالح الضامن
كلية الاداب ــ جامعة بغداد

فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي
الجزء الاول ــ المجلد الحادي والاربعون
١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث
قسم التزويد
رقم المادة : 177177
رقم النسخة : 1183026
المصدر : شراء
التاريخ : ٢٠٠٤/٥/٨

الأخ الدكتور
مازن المبارك
مع الحب والتقدير
حاتم
١١ رمضان
١٤١٠ هـ

مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني

لابن بري المتوفى سنة ٥٨٢ هـ

تحقيق

الدكتور

حاتم صالح الضامن

كلية الاداب ــ جامعة بغداد

المؤلف

عبدالله بن أبي الوحش بَرِّي بن عبدالجبار بن بَرِّي المقدسي أصلاً المصري مولداً الشافعي مذهباً .

وكنيته أبو محمد ، واشتهر بابن برّي . وبرّي : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المكسورة وبعدها ياء : اسم علم يشبه النسبة(١) .

ولد بمصر سنة ٤٩٩ هـ وطلب العلم منذ الخامسة عشرة من عمره ، ونبغ في سنٍّ مبكرة فلفت إليه الانظار حتى اختير ليتولى التصفح في ديوان الإنشاء وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فكان (لا يصدر كتاب عن الدولة الى ملك من ملوك النواحي إلاّ بعد أنْ يتصفحه ويصلح ما لعله فيه من خلل خفي)(٢) .

وقد ولي هذا العمل خلفاً لمحمد بن بركات السعيدي المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ الذي كان قد تولاه خلفاً لابن بابشاذ المتوفّى سنة ٤٦٩ هـ .

---

(١) وفيات الأعيان ١٠٩/٣ . وينظر : الأنساب ١٩١/٢ واللباب في تهذيب الأنساب ١٤٥/١ .

(٢) وفيات الأعيان ١٠٨/٣ .

وتوفي ابن برّي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في عهد صلاح الدين الأيوبي(٣) .

شيوخه :

- علي بن جعفر بن علي المعروف بابن القطاع المتوفّى سنة ٥١٥ هـ .
- مرشد بن يحيى المديني المتوفّى سنة ٥١٧ هـ .
- محمد بن بركات بن هلال السعيدي المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ .
- محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الحطاب المتوفّى سنة ٥٢٥ هـ .
- محمد بن عبدالملك الشنتريني المعروف بابن السراج المتوفّى سنة ٥٤٥ هـ .
- محمد بن حمزة بن أحمد المعروف بابن العرقي المتوفّى سنة ٥٥٧ هـ .
- أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الحطيئة المتوفّى سنة ٥٦٠ هـ .
- عبدالجبار بن محمد بن علي المعافري المتوفّى سنة ٥٦٦ هـ .
- علي بن عبدالرحيم السلمي المعروف بابن العصار المتوفّى سنة ٥٧٦ هـ .

---

(٣) ينظر عن ابن بري المصادر الآتية ، وهي مرتبة ترتيبا تاريخيا :
معجم الأدباء ١٢/٥٦ .
انباه الرواة ٢/١١٠ .
التكملة لوفيات النقلة ١/٥٨ .
وفيات الأعيان ٣/١٠٨ .
اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ١٦١ .
سير اعلام النبلاء ٢١/١٣٦ .
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٧/٢٤٥ .
الوافي بالوفيات ١٧/٨٠ .
مرآة الجنان ٣/٤٢٤ .
طبقات الشافعية للسبكي ٧/١٢١ .
طبقات الشافعية للاسنوي ١/٢٦٧ .
البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٠٦ .
بغية الوعاة ٢/٣٤ .
شذرات الذهب ٤/٢٧٣ .

- عثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي المتوفّى بعد سنة ٥٧٦ هـ .
- علي بن عبدالرحمن بن محمد الحضرمي .

تلاميذه :

درس علي ابن برّي وروى عنه علماء كثيرون من لغويين ونحويين وقُرّاء ومفسرين ومحدثين ، واستفادت من علمه الأسرة الأيوبية ، وسأكتفي بالإشارة الى المشهورين منهم :

- أبو المحاسن مهلب بن الحسن البهنسي المصري المتوفّى سنة ٥٧٢ هـ .
- أبو الجيوش عساكر بن علي الصوري المقرىء النحوي المتوفّى سنة ٥٨١ هـ .
- عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الفقيه الحافظ المتوفّى سنة ٦٠٠ هـ .
- هبة الله بن جعفر بن سناء الملك القاضي المتوفّى سنة ٦٠٨ هـ .
- عيسى بن عبدالعزيز الجزولي النحوي المتوفّى نحو سنة ٦١٠ هـ .
- أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي الأديب المتوفّى سنة ٦١٣ هـ .
- سليمان بن بنين بن خلف الدقيقي النحوي المتوفّى سنة ٦١٤ هـ .
- عبدالخالق بن صالح المسكي النحوي المتوفّى سنة ٦١٤ هـ .
- أبو محمد عبدالمنعم بن صالح النحوي المعروف بالاسكندراني المتوفّى سنة ٦٣٣ هـ .
- علي بن هبة الله بن سلامة المصري الفقه المقرىء المتوفّى سنة ٦٤٩ هـ .

وممن خذ عنه من الأسرة الأيوبية :

- الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ت ٥٨٩ هـ .
- الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٥٩٥ هـ .
- الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦١٣ هـ .
- الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٢٢ هـ .
- الملك الظافر مظفر الدين الخضر بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٢٧ هـ .
- الملك الأعز يعقوب بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٢٧ هـ .

— الملك المفضّل قطب الدين موسى بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٣١ هـ .

— الملك الزاهر داود بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٣٢ هـ .

— الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل محمد بن أيوب ، ت ٦٣٥ هـ .

— الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي الأيوبي ، ت ٦٣٧ هـ (*) .

مؤلفاته :

المطبوعة :

١ — التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح .
٢ — حاشية على تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي .
٣ — حاشية على المعرّب .
٤ — شرح شواهد الإيضاح .
٥ — غلط الضعفاء من الفقهاء .
٦ — اللباب في الردّ على ابن الخشاب .
٧ — مسألة في جمع حاجة : منشورة في الأشباه والنظائر للسيوطي .

المخطوطة :

١ — حاشية على دره الغواص .
٢ — رسالة في لو الامتناع : انتهينا من تحقيقها .
٣ — فصل في شروط الحال وأحكامها وأقسامها : انتهينا من تحقيقه .
٤ — مسائل سُئل عنها : انتهينا من تحقيقها .
٥ — مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني : وهو هذا الكتاب وسيأتي الحديث عنه.

المؤلفات التي لم نقف عليها :

١ — الاختيار في اختلاف أئمة الأمصار .

(*) ينظر : ابن بري وجهوده اللغوية ٧٠ — ٩١ ففيه احصاء شامل لتلاميذه .

٢ – جواب المسائل العشر ، وهي المسائل التي سأل عنها أبو نزار الملقب بملك النحاة : نقل عنه البغدادي في خزانة الأدب .

٣ – حاشية على المؤتلف والمختلف : نقل عنه البغدادي في خزانة الأدب .

٤ – شرح أدب الكاتب : ذكره البغدادي في خزانة الأدب .

٥ – الفروق : نقل عنه الزّبيدي في تاج العروس .

قصيدتان نسبتا اليه غلطاً :

١ – القصيدة الخالية : نسبها إليه مصطفى حجازي في مقدمة التنبيه والإيضاح . وهو وهم ، لأنّ هذه القصيدة رواها ثعلب المتوفّى سنة ٢٩١ هـ ، وهي في مراتب النحويين والصناعتين .

٢ – القصيدة الحالية : نسبها إليه مصطفى حجازي في مقدمة التنبيه والإيضاح اعتماداً على لسان العرب (حول) ، وهذه النسبة غير قاطعة فقد جاء في اللسان : قال ابن برّي : وهذه أبيات تجمع معاني الحال .

رأي العلماء فيه :

قال القفطي في إنباه الرواة : كان جمّ الفوائد ، كثير الاطلاع ، عالماً بكتاب سيبويه وعلله ، وبغيره من الكتب النحوية ، قيّماً باللغة وشواهدها .

وقال أيضاً : وكانت كتبه في غاية الصحة والجودة ، وإذا حشاها أتى بكلّ فائدة ، ورُئي جماعة من تلاميذه متصدرين متميزين . وأكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه وأخذوا عنه .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان : الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية . كان علاّمة عصره ، وحافظ وقته ، ونادرة دهره .

وقال الذهبي في سير اعلام النبلاء : الإمام العلامة ، نحويّ وقته .

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : قرأ على مشايخ زمانه وانفرد بهذا الشأن وقصده الطلبة من الآفاق ، وكان عالماً بكتاب

سيبويه وعلله قيّما باللغة وشواهدها . وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء ، لا يصدر كتاب عن الدولة الى ملوك النواحي إلاّ بعد أنْ يتصفحه ويصلح ما فيه من خلل خفي .

وقال الصفدي في الوافي بالوفيات : كانت عنايته تامة في تصحيح الكتب ، وكتب الحواشي عليها بأحمر ، فإذا رأيت كتاباً قد ملكه فهو الغاية في الصحة والاتقان .

وقال ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين : كان قيّماً بكتاب سيبويه وعلله ، قيّما باللغة والشواهد . وكان مقدّماً في اللغة والعربية ، شائع الذكر ، مشهوراً بالعلم ، لم يكن في زمانه مثله .

وقال ابن حجر في تبصير المنتبه بتحرير المشتبه : وشيخ العربية بمصر أبو محمد عبدالله بن بري مشهور .

وقال السيوطي في بغية الوعاة : شاع ذكره واشتهر ، ولم يكن في الديار المصرية مثله ... وكان قيّما بالنحو واللغة والشواهد ، ثقة .

* * *

الكتاب

تناول ابن برّي في هذا الكتاب مسائل في العربية والتفسير والمعاني وبلغت هذه المسائل ثماني وثلاثين مسألة أورد فيها آيات قرآنية كريمة مبيّناً ما فيها من اعراب وتفسير وقراءات وأجاب على ما يشكل منها عند الدارسين .

واعتمد المؤلف في شرحه لهذه الآيات على أقوال العلماء الذين سبقوه وقد ذكر منهم : مقاتل بن سليمان وسيبويه والكسائي وأبا اسحاق الزجاج والزمخشري .

ولم يستشهد ابن بري إلاّ ببيت واحد من الشعر للكميت بن زيد.

وهذه المسائل أثر نادر من آثار ابن برّي كنت أسعى للحصول عليها منذ أكثر من عشر سنوات الى أن هيّأ الله ، عزّوجلّ ، الأخ الدكتور حسين تورال الذي تفضل فوافاني بصورتها ، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

ومخطوطة الكتاب نسخة فريدة تقع ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ وتحتفظ بها مكتبة شهيد علي في تركيا .

ويقع هذا المجموع في ٥٦ ورقة ، في كل ورقة صفحتان ، وفي كلّ صفحة ١٥ سطراً .

وقد شغلت هذه المسائل الأوراق ١ب – ١٢أ .

وكتب المجموع بخط واضح مقروء ، وتاريخ نسخة سنة ٧٠٠ هـ كما جاء في وجه الورقة ٣٣ .

وقد أرفقت بنشرتي هذه صوراً لعنوان المجموع وللصفحتين الاولى والأخيرة :

وأخيراً أرجو أنْ أكون قد أسديت خدمة للغة القرآن الكريم والحمد لله أوّلاً وآخيراً

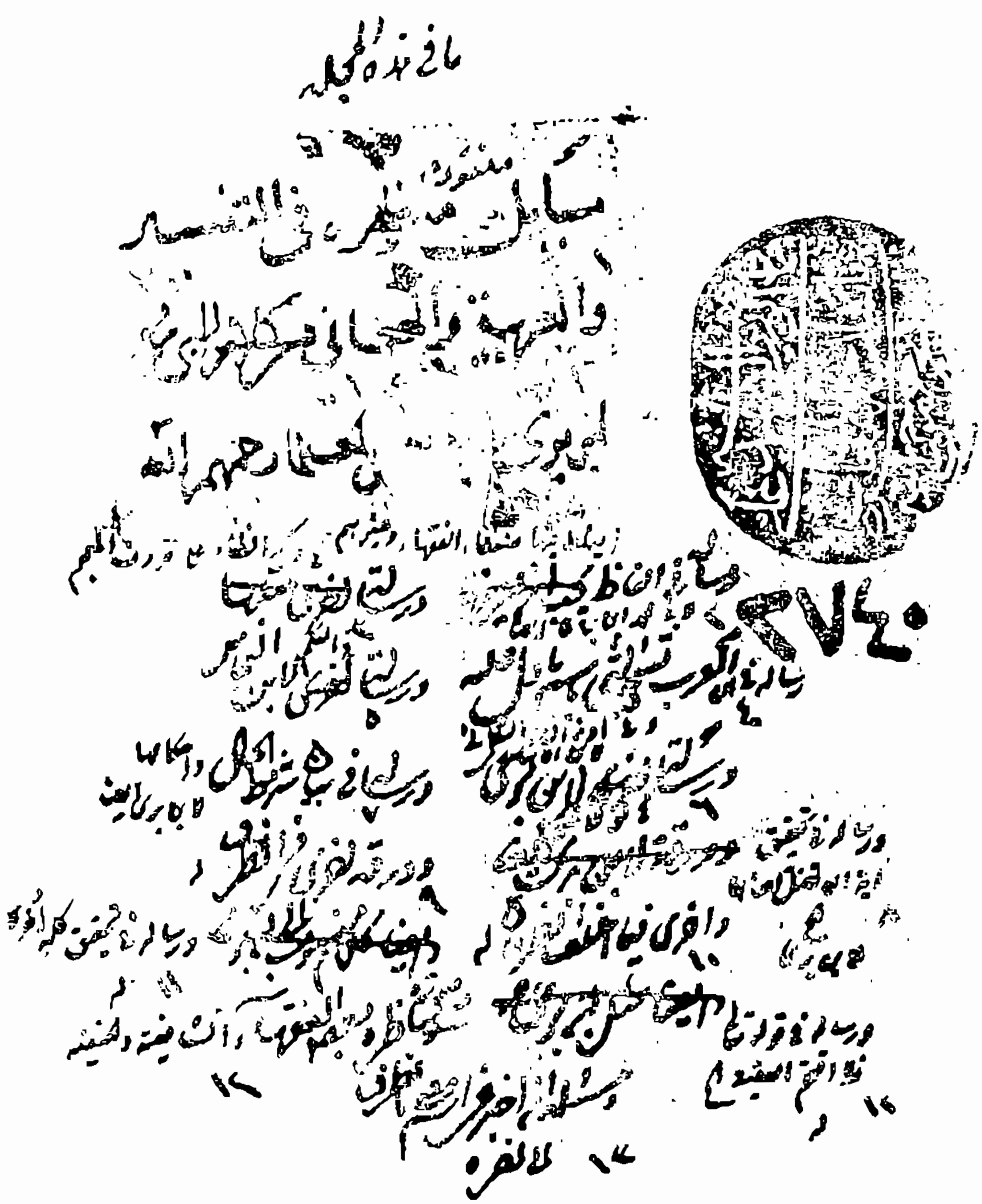

صفحة العنوان

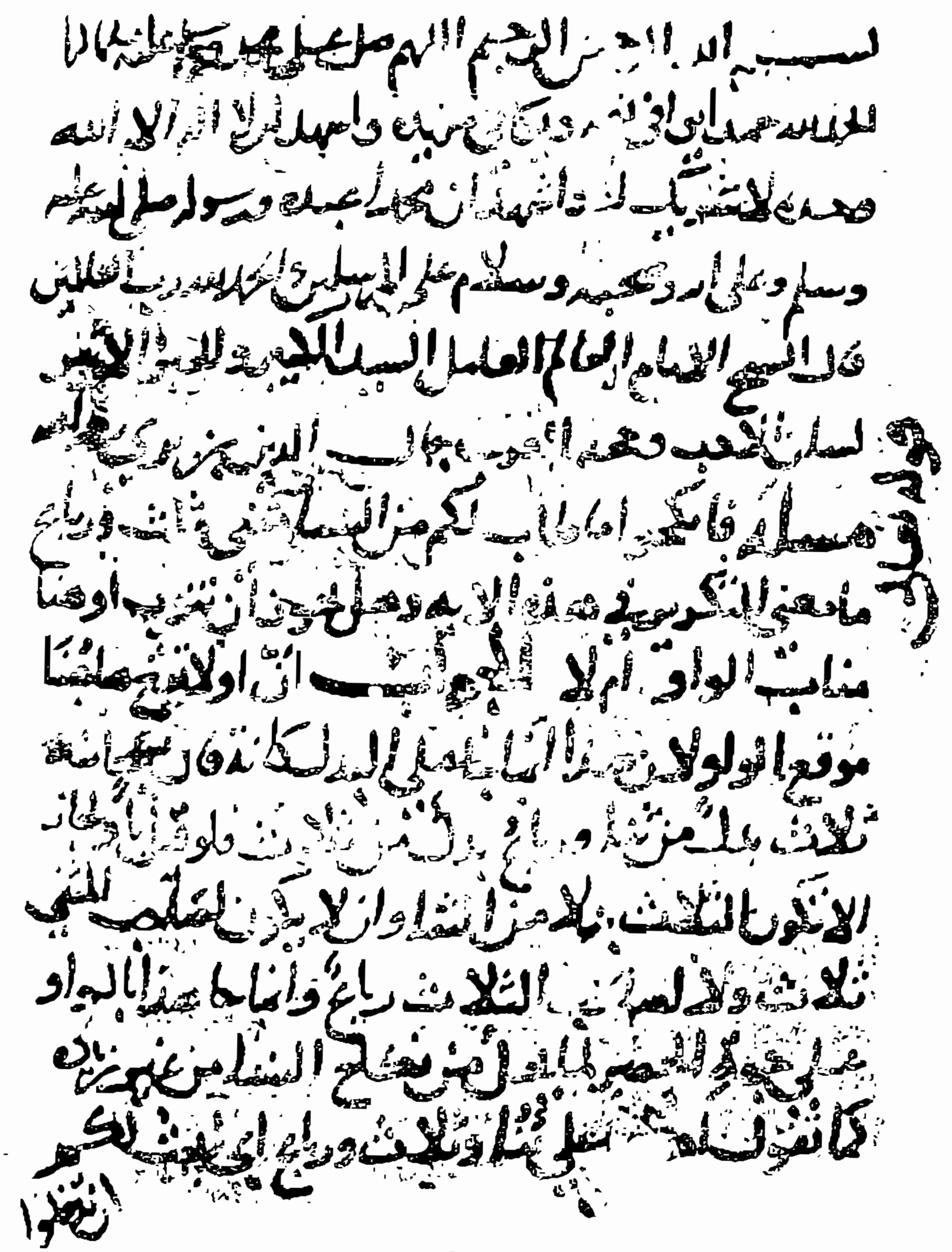

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد [illegible]
الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وصحبه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
قال الشيخ الإمام العالم العامل السيد الكبير [illegible]
[illegible]
مسألة فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
ما معنى التكرير في هذه الآية وهل يجوز أن تكون أو هنا
مناب الواو أم لا الجواب أن أو لا تقع هاهنا
موقع الواو [illegible]
ثلاث [illegible]
[illegible] الثلاث [illegible]
ثلاث [illegible] الثلاث رباع وأما مجيئها بالواو
[illegible]
[illegible]
انكحوا

الصفحة الأولى

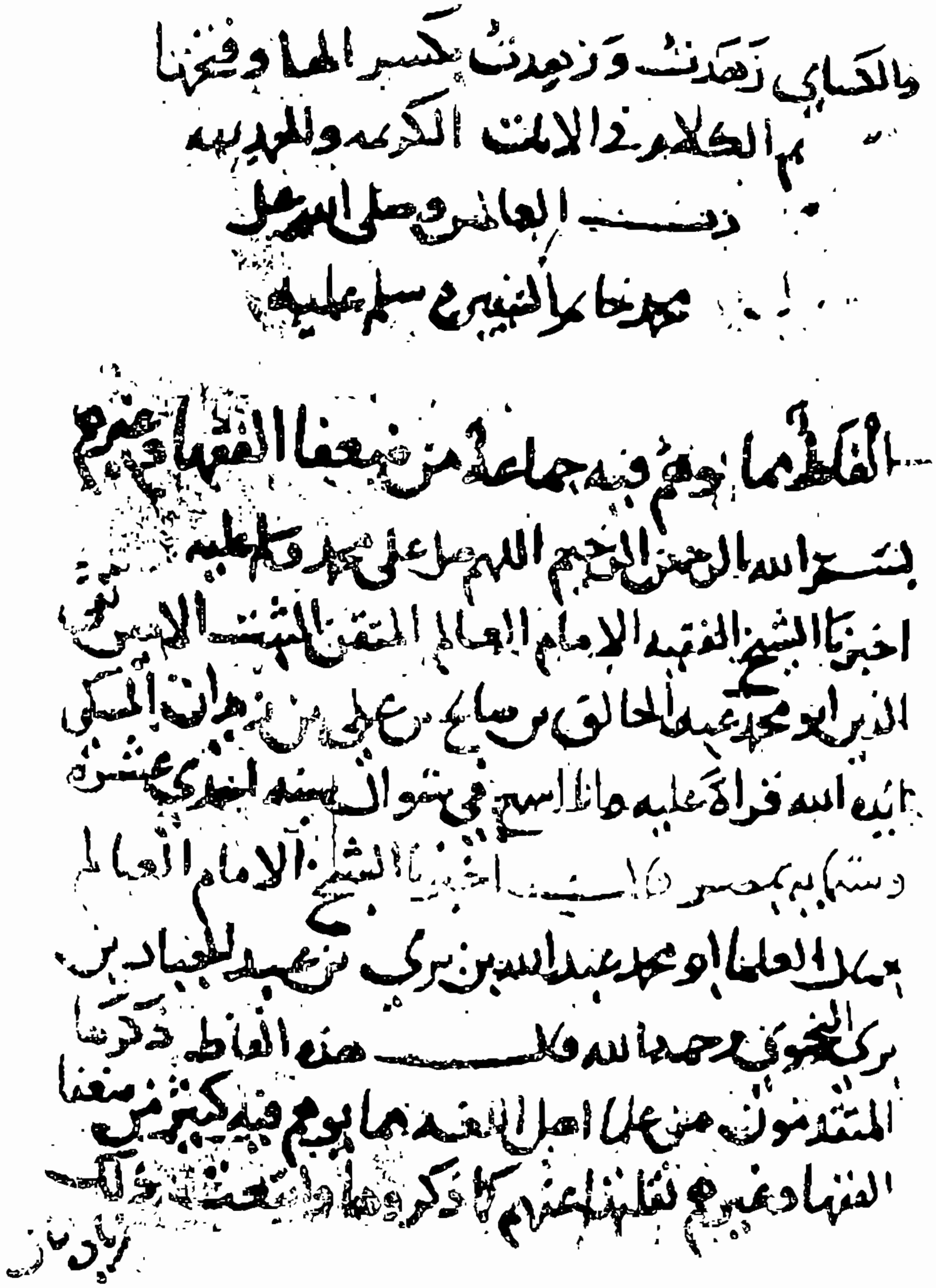

والكسائي زَهَدتُ وزَهِدتُ بكسر الهاء وفتحها
تم الكلام في الالفاظ الكريمه والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد النبي وسلم عليه

الالفاظ مما يوهم فيه جماعة من ضعفا الفقها وغيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وآله وسلم عليه
اخبرنا الشيخ الفقيه الإمام العالم المتقن الثقة الامين تقي
الدين ابو محمد عبد الخالق بن صالح بن علي بن زيدان المسكي
ابقاه الله قراءة عليه وانا اسمع في شوال سنة اثنتي عشرة
وستمائة بمصر قال اخبرنا الشيخ الإمام العالم
جمال العلما ابو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن
بري النحوي رحمه الله قال هذه الفاظ ذكرها
المتقدمون من علما اهل اللغة مما يوهم فيه كثير من ضعفا
الفقها وغيرهم لقلة بحثهم كما ذكروها واتفقت

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وسلم عليه تسليماً .

الحمدُ لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده . وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له . وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . صلّى الله عليه وسلّم . وعلى آله وصحبه ، وسلام على المرسلين والحمدُ لله ربّ العالمين .

قال الشيخ الإمام العالم العامل السيد الكبير والحبر الأثير . لسان الأدب وحجة العرب جمال الدين بن برّي . رحمه الله :

مسـألة

قوله تعالى : « فانكِحُوا ما طابَ لكم من النساءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ »[1].

ما معنى التكرير في هذه الآية ؟ وهل يجوزُ أنْ تنوبَ (أو) هنا مناب الواو أم لا ؟

الجواب :

انّ (أو) لا تقع ها هنا موقع الواو لأنّ هذا إنّما جاءَ على البدل . كأنّه قالَ سبحانه : ثُلاث بدلٌ من ثُناء . ورُباع بدلٌ من ثُلاث .

فلو قيل بـ (أو) لجازَ ألاّ تكونَ الثلاث بدلاً من الثُناء . وأنْ لايكون لصاحب المَثْنَى ثلاث ، ولا لصاحب الثلاث رباع : وإنّما جاءَ هذا بالواو على جهة الحصر لما يحلُّ من نكاح النساء من غير زيادة . كما تقول : ادخلوا عليّ ثُناء وثُلاث ورُباع . أي : أبحتُ لكم (٢أ) أنْ تدخلوا على هذه العدة لازيادةَ عليها . فانْ شِئتم فادخلوا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثةً وأربعةً أربعةً . ولا تزويدوا على ذلك .

---

(١) النساء ٣ . وينظر في الآية : معاني القرآن للفراء ١/٢٥٤ ومعاني القرآن واعرابه ٢/٨ ومشكل اعراب القرآن ١٨٩ والتبيان ٣٢٨ والدر المصون ٣/٥٦١ .

وعلى هذا قوله: « إنّما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها(٢)». فجاءَ بالواو لحَصْرِ عدّةِ المستحقين للصدقة: للفقراء والمساكين والعاملين، الى تمام الأصناف الثمانية من غير زيادة. وكذلك المُحَلَّلُ لكم من نكاح النساء من جهة الاعداد، مثنى وثُلاث ورُباع من غير زيادة على ذلك، إلاّ أنّه يجوز في آية الصدقات أنْ تدفعَ صدقةَ لأحد الاصناف الثمانية، ولا يجوز أنْ يجمعَ بينَ هذه الأقسام الثمانية من العدد من جهة أنّ الأبدالَ المعدولة في العدد لا يكون معناها إلاّ على الانفراد وإنْ حصل فيها العطف بالواو كما مثَّلْتُ أوّلاً فيما تقدّم من قول القائل: ادخلوا عليّ ثُناء وثُلاث ورُباع، أي: اثنين اثنين وثلاثةً ثلاثةً وأربعة أربعةً، ولم يُرد الجمع بينها كُلّها، ولم يُرد (٢ب) ادخلوا عليّ تسعةً تسعةً.

ولو كانَ المعطوفُ يقضي الأمر فيه أنْ يكونَ بدلاً من المعطوف عليه فتكون الثلاثة بدلاً من الاثنين، والأربعة بدلاً من الثلاثة لوجبَ مثل ذلك في قوله سبحانه: « إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها » فتكون الصدقة للمساكين بدلاً من الفقراء، والصدقة للعاملين عليها بدلاً من المساكين، وليس الأمر كذلك.

وإنّما يجيء مثل هذا بالواو في كلام العرب على جهة الحصر للأصناف المعدودة. أي المستحقين للصدقة: الفقراء والمساكين والعاملين عليها، الى انتهاء الأصناف الثمانية من غير زيادة. فمَن وُجِدَ منهم دُفِعَتْ إليه الصدقة. وهذا كما تقول: كنتُ آكل في بلدي اللحمَ والتمرَ والزيتَ والسمنَ والعسلَ، فحَصَرَ أصنافَ ما يأكله، ولم يُرِدْ أنّه كانَ يجمعُ بينَ هذهِ كلّها في أكلةٍ.

وكذلك قوله سبحانه: « فانكِحوا ما طابَ لكم من النساء مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ »، أي: لينكح كُلٌّ (٣أ) منكم مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ من غير

---

(٢) التوبة ٦٠ وتمامها: « والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيلَ فريضة من الله والله عليم حكيم ».

زيادة على ذلك . أي الذي أُحِلَّ لكم من نكاح النساء هذه الأقسام الثلاثة : مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ من غير زيادة على ذلك ، كما تقولُ كُلِ الرطبَ أُحادَ ومثنى وثُلاثَ ، أي : كُلْ هذا الرطبَ واحدةً واحدةً واثنتين اثنتين وثلاثةً ثلاثةً .

ولو أتى بـ (أو) في هذه العدّة وقال : كُلِ مَثْنى أو ثُلاثَ أو رُباعَ . لكان جائزاً ولا يلزم ما ذكره في الآية من أنّه لو أتى بـ (أو) عوضاً من الواو لجازَ ألاّ يكون لصاحب مثنى ثلاث . لأنّ هذا الخطاب وإنْ كان لجماعة فانّما يُراد به واحدٌ واحدٌ ، كما قالَ سبحانه : « يُخْرِجُكُم طِفْلاً »(٣) أي : يخرج كُلاًّ منكم طفلاً ، فاذا كانَ الواحدُ هو المأمور بذلك فلا يصحّ أنْ يُقالَ : إنّه لا يكون لصاحب المثنى ثلاث . لأنّ صاحبَ المثنى هو صاحبُ الثلاث والرباع .

هذا ما ذكره شيخنا الإمام العلامة ابنُ برّي . رحمه الله .

وأمّا ما ذكره الزمخشريّ (٣ب) في الكشاف (٤) فهو أنّه قال : اعلمْ أنّ معنى التكرير في قوله سبحانه : « مثنى وثُلاثَ ورُباع » أنّ الخطابَ للجميع يوجبُ التكرير ليصيبَ كلَّ ناكحٍ (٥) يريدُ الجمعَ ما أرادَ من العدَد الذي أطلقه (٦) ، كما تقولُ للجماعة : اقتسموا هذا المالَ . وهو ألفُ درهمٍ : درهمين درهمين وثلاثةً ثلاثةً وأربعةً أربعةً ، ولو أفردتَ لم يكن له معنى . وجاء العطف بالواو دون (أو) ، كما جاء بالواو في المثال الذي ذكرته لك . ولو ذهبتَ تقول : اقتسموا هذا المالَ درهمين درهمين أو ثلاثةً ثلاثةً أو

---

(٣) غافر ٦٧ .

(٤) الكشاف ١/٤٩٧ . والزيادة منه . ويلاحظ ان الكلام لأحد تلامذة ابن بري .

(٥) بعدها في الأصل : منا لجمع . وليست في الكشاف .

(٦) في الكشاف : اطلق له .

أربعةً أربعةً علمتَ(٧)أنه إلا يسوغ لهم إلاّ أنْ يقتسموا(٨)على أحد[أنواع] هذه القسمة . وليس لهم أنْ يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنيةٍ وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع ولذهب(٩) معنى تجويز الجمع بين أنواعِ القسمة التي دَلّتْ عليها الواو . وتحريره أنّ الواو دلّت على إطلاق أنْ يأخذ الناكحو مَنْ أرادوا نكاحها من النساء على (٤أ) طريق الجمع ، إنْ شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد ، وإنْ شاءوا متفقين]فيها] محظوراً عليهم ما وراء ذلك .

هذا ما ذكره الزمخشريّ .

وقد وهم بعضُ الناس في تأويل هذه الآية فجعله دليلاً على جواز التزويج بتسعِ نسوةٍ على الجمع ، وأجراه مجرى اثنين وثلاثة وأربعة . وليس كذلك ، لأنّ المعنى : فانكحوا ما طابَ لكم من النساء اثنتين اثنتين ، وإنُ شئتم ثلاثاً ثلاثاً . وإنْ شئتم أربعاً أربعاً . ولو كان هذا محمولاً على ظاهره لقيل : تسع ، عوضٌ من ثلاثة أشياء . لأنّ الايجازَ تقليلُ الكلامِ من غير اخلالٍ ، وإذا كانَ المعنى يمكنُ أنْ يُعبّرَ عنه بألفاظ قليلة ، ويُعبّر عنه بألفاظ كثيرة ، فالألفاظ القليلة ايجازٌ . فقول القائل : لي عند زيدٍ عشرةٌ ، أوجزُ وأخصرُ من قوله : لي عنده خمسةٌ وثلاثةٌ واثنانِ ، في موضع : لي عنده عشرةٌ .

وبلاغةُ القرآن أعلى طبقات البلاغة إذ هو معجزٌ .

وقد قال بعضُ العلماء(١٠) : البلاغةُ إيصالُ المعنى الى القلب (٤ ب) في أحسن صورة من اللفظ . فأعلاها طبقةً في الحُسْنِ بلاغة القرآن ، ولم يُبح التزويج بتسعٍ إلاّ لرسول الله . صلىّ اللهُ عليه وسلم ، فانّه أُبيح له الجمعُ بينَ هذا العدد ، وهو أحدُ خصائصه ، عليه السلام .

---

(٧) من الكشاف ، وفي الأصل : لأعلمت.

(٨) الكشاف : يقتسموه .

(٩) الكشاف : وذهب .

(١٠) مواد البيان ١٣٢/٢ .

وإعرابُهـا :

الفاءُ جوابُ الشرط في قوله : « فإنْ خِفْتُم » .

و « ما طابَ لكم » : (مـا) في موضع نصب بـ (انكحوا) .

و « من النساءِ » : متعلّق بـ (انكحوا) .

و (مـا) يجوز فيها وجهان :

أحدهما : أنْ تكونَ خبرية بمعنى (الذي) ، و (طاب) صلتها ، و(لكم) متعلّق بـ (طاب) ، وهي على تقدير الصفة . لأنّ (مـا) إذا كانت صفةً صلحت لِمَنْ يعقل ، ثمّ تُقامُ الصفة مقامَ الموصوف . وقال بعض النحويين : المؤنث من العقلاء يجرى مجرى ما لا يعقل .

والتاني : أنْ تقدّر (مـا) تقدير المصدر ، أي : فانكِحوا الطيّب من النساء ، وهذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه . أي : فانكحوا ذواتِ الطيّب لكم ، أي : ذوات الحلّ لكم . لأنّ معنى قوله سبحانه : « ما طابَ لكم » ، أي : (٥ أ) ما حلّ لكم ، ثمّ حُذِفَ المضاف .

« مثنى وثُلاثَ ورباعَ » : في موضع نصب على البدل من (ما) . ويجوز أنْ يكنّ في موضع الحال من (ما) ، لأنّها بمعنى (الذي) .

واختُلِفَ في العلّةِ المانعةِ لهذه الأسماء من الصرف . قيل : المانعُ لصرفِها الصفةُ والعَدْلُ . وقيل : العَدْل والجمع . وهذا العَدْل . أعني عدل النكرة عن النكرة ، مختصٌ بالعدد . والمسموع عن العرب العَدْل من واحدٍ الى أربعةٍ . كما جاء في القرآن . ورُبّما جاء فيما دون ذلك نادراً .

قال الكُمَيْتُ(١١) :

فلـم يستريثوكَ حـتى رميـ ـتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشارا

---

(١١) شعره : ١/١٩١ . وينظر : مجاز القرآن ١/١١٦ .

وهذا النوع لا ينصرفُ في معرفةٍ ولا نكرةٍ .

واللهُ أعلمُ بالصواب

* * *

سؤال

مَا الحكمةُ في قوله في سورة الأنعام : « أعلمُ مَنْ يَضِلُّ »(١٢)بحذف الباء . وقالَ في سورة ن والقلم (١٣) بإثباته(١٤) ؟

فالجواب :

لأنّ ما (٥ ب) في سورة الأنعام معناه : يعلمُ أيّهم يعليعه ، من قوله : « وإنْ تُطِعْ أكثرَ مَنْ في الأرضِ يُضِلّوكَ عن سبيلِ اللهِ » (١٥) .

وما في القلم معناه : أعلمُ بما كانَ وبما يكونُ من أحوالِ مَنْ ضَلَّ ، بدليل قوله : « فستُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ . بأيِّكُمُ المَفْتُونُ » (١٦) .

* * *

سؤال

ما الحكمةُ في قوله عزّوجلَ في سورة الأنعام : « فسوفَ »(١٧) ، وكذلكَ في الزُّمَر(١٨) . وقالَ في سورة هود : « سوفَ » (١٩) ؟

---

(١٢) الأنعام ١١٧ . وينظر : مشكل اعراب القرآن ٢٦٦ والدر المصون ١٢٦/٥ .

(١٣) آية ٧ وهي : « ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين» .

(١٤) اي : باثبات الباء . وينظر : فتح الرحمن بكشف مايلتبس في القرآن ١٧٤ – ١٧٥ .

(١٥) الأنعام ١١٦ .

(١٦) القلم ٥ و ٦ .

(١٧) الانعام ١٣٥ : «قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون ...» . وينظر : فتح الرحمن ١٧٧ .

(١٨) الزمر ٣٩ : « قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون » .

(١٩) هود ٩٣ : « وياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون ... » .

فالجواب :

لأنّه تقدّم في السورتين بأنْ أمَرَهم أمْرَ وعيدٍ بقوله : « اعملوا » أي : اعملوا فستجزون . ولم يكن في هود (قُل) فصارَ استئنافاً .

* * *

مسألة

قوله : « وذروا ظاهِرَ الإثْمِ وباطِنَهُ »(٢٠) .

قيل : ظاهره : ما نفعله بالجوارحِ ، وباطنه : ما نفعله بالقلب .

* * *

مسألة

قوله ، عزّوجلّ : « كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ » (٢١) .

إنّما قَدّم ذِكْرَ الأكلِ لأمرين :

أحدهما : تسهيلاً لايتاء حَقّهِ .

والثاني : تغليباً لحقّهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم .

* * *

مسألة

ما الحكمةُ في قوله : « إنّ اللهَ لا يغفرُ » (٢٢) [ختمها] في أوّل السورةِ بقوله : « فقد افترى إثماً عظيماً » . وقال في آخرها : « فقد ضَلّ ضلالاً بعيداً » (٢٣) ؟

---

(٢٠) الأنعام ١٢٠ . وينظر : تفسير الطبري ٨/١٣ وتفسير القرطبي ٧/٧٤ .

(٢١) الانعام ١٤١ . وينظر : تفسير الطبري ٨/٥٢ وتفسير القرطبي ٧/٩٩ .

(٢٢) النساء ٤٨ : «....ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » .

(٢٣) النساء ١١٦ : «.... ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » .
وينظر في الآيتين : فتح الرحمن ١١٥-١١٦ .

فالجواب :

لأنّ الآية الأولى في اليهود (٦ أ) وهم عرفوا صحةَ نبوةِ محمد ، صلّى الله عليه وسلّم ، من التوراة فكذّبوا وافتروا على الله مالم يكن في كتابهم .

والثانية نزلتْ في مشركي العرب ، فلم يكن عندهم كتاب فيرجعوا إليه ، فكان ضلالهم أشدّ وبعدهم عن الرشاد أتمّ وإنْ كانوا كُلّهم ضلالاً مفترين.

* * *

سؤال

ما الحكمةُ في قوله في سورة النساء : « إنْ تُبْدوا خيراً »(٢٤) وقال في الأحزاب : « شيئاً » (٢٥) ؟ .

فالجواب :

لأنّ ما في سورة النساء وقع في مقابلة السوء المذكور في قوله : « لا يحبُ اللهُ الجَهْرَ بالسوء » (٢٦) ، فاقتضتِ المقابلة أنْ يكونَ بازاء السوء الخيرُ .

وأمّا في الأحزاب فوقع بعد قوله : « واللهُ يعلمُ ما في قلوبِكُم » (٢٧) ، فاقتضى العمومَ ، و (شيء) من أعمّ العموم .

* * *

مسألة

إنْ قيل : ما الفائدةُ في قوله تعالى : « إذا أثْمَرَ »(٢٨) وقد علم أنّه إذا لم يثمر لم يُؤكل منه ؟

---

(٢٤) آية ١٤٩ .

(٢٥) آية ٥٤ : «أن تبدوا شيئا » .

(٢٦) النساء ١٤٨ .

(٢٧) الأحزاب ٥١ .

(٢٨) الأنعام ١٤١ : «كلوا من ثمره اذا اثمر » . وينظر : فتح الرحمن ١٧٨ .

فالجواب :

وذلك لمّا أُبيح لهم الأكل من ثمره قيلَ : إذا أثمرَ ، ليعلم أنَّ وقت الإباحة وقت اطلاع الشجر الثمرَ لئلا يتوهم أنّه لا يُباحُ إلاّ إذا أثمرَ وأينعَ .

* * *

مســألة

إنْ قيل : لِمَ (٦ ب) قدّمَ الشكرَ على الإيمان (٢٩) ؟

فالجواب :

وذلك أنّ العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهماً ، فإذا انتهى به النظر الى معرفة النّعم آمنَ به ثمّ شكرَ شكراً مفصّلاً ، فكان الشكرُ متقدِّماً على الايمان ، وكأنّه أصل التكليف ومداره .

* * *

مســألة

قوله تعالى : « وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين » (٣٠) .

ليس (جعل) هاهنا بمعنى (صيّر) ، لأنّ ذلك يقتضي حالة سابقة نُقِلَ الشيء عنها الى حالة أخرى ، ولا الذي بمعنى (حَكَمَ) ، ولا بُدَّ من أحد التقديرين ، أحدهما : وجعلنا الشمسَ والقمرَ فيهما آيتين .

* * *

مســألة

قوله تعالى : « ألمْ يجدْكَ يتيماً فآوى » (٣١) .

---

(٢٩) في قوله تعالى : « مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ...» الآية ١٤٧ من سورة النساء . وينظر : تفسير الرازي ١١/٩٠ .

(٣٠) الاسراء ١٢ .

(٣١) الضحى ٦ .

قيل : وَجَدَكَ عديمَ النظير من الدرّ اليتيم فآواك الى كرامته ، واصطفاكَ لرسالته .

* * *

سؤال

[لِمَ] قال في الأنعام : « أَلَمْ يَرَوْا » (٣٢) . وقال في غيرها : « أَوَلَمْ » (٣٣) ؟

فالجواب :

وذلك ما كانَ الاعتبار فيه بالمشاهدة ذَكَرَه بالألفِ وواو العطف أو فائه (٣٤) . وما كان الاعتبار فيه بالاستدلال (٧ أ) ذُكِرَ بالألف وحده . ولا ينقض هذا الأصل قوله : « أَلَمْ يَرَوْا الى الطيرِ مُسَخَّراتٍ »(٣٥) ، لاتصالها بقوله : « واللهُ أَخْرَجَكُم من بطونِ أمهاتِكم » الآية (٣٦) ، وسبيلُها الاعتبار بالاستدلال فبنى « أَوَلم يروا » عليه .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « سلامٌ عليكم طِبْتُم » (٣٧) .

في معناه ثلاثة أوجه :

أحدها : نعمتم

---

(٣٢) الأنعام ٦ . وينظر : فتح الرحمن ١٥٩ .
(٣٣) الرعد ٤١ وآيات أخرى . ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٨٤ .
(٣٤) كقوله تعالى : « افلم يروا الى مابين أيديهم ...» سبأ ٩ .
(٣٥) النحل ٧٩ . وفي الأصل : أولم .
(٣٦) النحل ٧٨ .
(٣٧) الزمر ٧٣ . وينظر : زاد المسير ٧/٢٠١ .

الثاني كرمتم

الثالث : زكوتم

* * *

سؤال

[لِمَ] قالَ في براءة في أولها : « ثُمَّ تُرَدُّونَ »(٣٨) ، وقال في الثانية : « وستُرَدونَ » (٣٩) ، ثمَّ زاد فيها : والمؤمنون » .

فالجواب :

لأنّ الآية الأولى خطاب للمنافقين ، ونفاقهم لا يطلع عليه غير الله والنبيّ ، عليه السلام ، باطلاع الله له عليه .

والآية الثانية خطاب للمؤمنين ، وأولها « اعملوا » أنّ الطاعات والعبادات والصدقات ، وهذه يراها المؤمنون كما يراها رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم .

وأمّا قوله في الآية الأولى : « ثمّ تُرَدُّون » ، وفي الثانية : « وستردّون»

فالجواب :

وذلك لأن الأولى وعيدٌ ، و (ثُمّ) للتأخير . والثانية (٤٠) وعدٌ (٧ب) والسين أقربُ الى الحال من (ثُمّ) ، فوافق ما قبل الآية من قوله : « فسيرى اللهُ » ، فقرّبَ الثوابَ وبَعّدَ العِقابَ .

* * *

---

(٣٨) التوبة ٩٤ : « وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

(٣٩) التوبة ١٠٥ : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .
وينظر : فتح الرحمن ٢٣٩ .

(٤٠) في الأصل : والثاني .

مسألة

قوله تعالى : « وعلى اللهِ قَصْدُ السبيلِ ومنها جائرٌ »(٤١) .

أي : على تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج والبراهين ، فقوله « ومنها جائر » أي : من السُبُل طُرُقٌ غير قاصدة للحقِّ .

* * *

سؤال

إنْ قيلَ : لِمَ قالَ : « حتى إذا ركبا في السفينةِ خرقَها »(٤٢) . بغير فاء . وقال : « حتى إذا لَقِيا غُلاماً فقَتَلَهُ »(٤٣) بالفاء .

فالجواب :

وذلك لأنّ خرقها جُعِلَ جزاءً للشرط ، وجعل قتله من جُملة الشرط معطوفاً عليه ، والجزاء : « قالَ أَقتَلْتَ » .

فإنْ قيلَ : فلِمَ خُولِفَ بينهما ؟

[فالجواب] :

وذلك لأنّ خرقَ السفينة لم يتعقّب الركوب ، وقد تعقّبَ القتلُ لقاء الغلام .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين »(٤٤) .

---

(٤١) النحل ٩ . وينظر : معاني القرآن واعرابه ١٩٢/٣ وزاد المسير ٣٢/٤ .

(٤٢) الكهف ٧١ .

(٤٣) الكهف ٧٤ . وينظر : فتح الرحمن ٣٥٤ .

(٤٤) الاسراء ١٢ . وينظر : المحرر الوجيز ٢٦٧/١٠ .

فيه وجهان :

أحدهما : أنْ يُرادَ : أنّ الليلَ والنهارَ آيتان في أنفسهما ، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين (٨أ) كاضافة العدد الى المعدود ، أي : فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مُبصرة .

والثاني : أنْ يُرادَ : وجعلنا نيري الليلِ والنهارِ آيتينِ ، يريد الشمسَ والقمرَ .

«فمَحَوْنا آيةَ الليل » : أيْ : جعلنا الليل ممحوَّ الضوء مطموساً مُظلماً لا يُستبانُ فيه شيء ، كما لا يُستبان ما في اللوح الممحو .

وجعلنا النهارَ مبصراً ، أي تُبصرُ فيه الأشياءُ وتستبانُ . أو فمحونا آيةَ الليل التي هي للقمر حيثُ لم نخلقْ له شعاعاً كشعاعِ الشمس وتُرى به الأشياء رؤيةً بيِّنةً . وجعلنا الشَمسَ ذات شعاع يُبصرُ في ضوئها كلّ شيء .

« لتبتغوا فَضْلاً من ربّكم »(٤٥) : أي : لتتوصلوا بضياء النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « إنّ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أمثالُكُمْ »(٤٦)

قال بعضُ المفسرين : إنّما قال : (أمثالكم) للنسبة التي بينهم لأنّهم ما فهموا ما جاءَ به النبيّ ، صلّى الله عليه وسلم ، من الآيات ، ولا علموا ، فكذلك (٨ ب) الأصنامُ حجارةٌ لا تعقلُ ولا تفهمُ .

---

(٥٤) الاسراء ١٢ .

(٤٦) الأعراف ١٩٤ . وينظر : تفسير الرازي ٩٦/١٥ وتفسير القرطبي ٣٤٢/٧ .

وقيل : إنّما قال : (عبادٌ أمثالُكم) استهزاء بهم ، أي : قصارى أمرهم أنّهم يكونون أحياء عقلاً ، فإنْ ثبتَ ذلكَ فهم عبادٌ أمثالُكم لاتفاضل بينكم ، ثمّ أبطلَ أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال : « أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يمشونَ بها » الآيــة (٤٧) .

قال مقاتل (٤٨) : المرادُ بهذه الآية طائفة من العرب من خزاعة كانت تعبدُ الملائكة فأعلمهم اللهُ أنّهم عبادٌ أمثالهم لا آلهة .

فإنْ قيلَ : ما الدعاءُ الأوّل ؟ وما الدعاءُ الثاني ؟

فالجواب :

أمّا الدعاءُ الأوّلُ فتسميتهم الأصنام آلهة ، كأنّه قالَ : إنّ الذين يدعون آلهة من دون الله .

وأمّا الثاني فطلبُ المنافع وكشف المضار من جهتهم ، وذلك مأيوسٌ من قبلهم ، وعبادةُ مَنْ هذه صفتهم جهلٌ وسخفٌ .

وقيل : (عبادٌ أمثالُكم) : وذلك أنّهم توهموا أنها تضرُّ وتنفعُ ، فقيل : ليس تخرج بذلك عن حكْمِ خلق الله .

* * *

مســألة

قوله عزّ وجلّ : « ... ولا على أَنْفُسِكُم أَنْ تأكلوا من بيوتِكم »(٤٩).

---

(٤٧) الأعراف ١٩٥ .

(٤٨) المحرر الوجيز ٧/٢٢٩ . ومقاتل بن سليمان ، توفي ١٥٠ هـ . (تاريخ بغداد ١٣/١٦٠ ، طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٣٠) .

(٤٩) النور ٦١ : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم ...» . وفي الأصل : (ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم) . وهو سهو .

إنْ قِيلَ : ما المُرادُ بقوله : (بيوتكم) ؟

(٩ أ) فالجوابُ :

وذلك أنّه أرادَ بيوت أولادِكم فنسبها اليهم ، لأنّ الأولاد كسبُهم وأموالهُم كأموالهم ، يدلّ على ذلك أنّ الناس لا يتوقون أنْ يأكلوا من بيوتهم ، وأنّه عدّ القرابات ، وهم أبْعَدُ شيء من الولد ، ولم يذكر الولد .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ » (٥٠) .

إنْ قيلَ : إنّما تذكر الكُنية للتعظيم ، وهذا في محل تحقير .

فالجوابُ :

وذلك أنّه كانَ اسمه عبدالعزّى . والله سبحانه لم يرض ذلك .

والثاني : أنّ المراد به النارُ ، فكأنّه قالَ : أبو النار ، مشبهه بما يؤولُ اليه فتكون النهاية في الحقارةِ .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « والصالحين من عبادِكم » (٥١) .

إنْ قِيلَ : لِمَ خصّ الصالحين ؟

قيل : ليخصّ دينَهم ويحفظ عليهم صلاحهم . وأنّ الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودّة ، وكانوا مظنّةً للتوصية بنسائهم والاهتمام بهم .

* * *

---

(٥٠) المسد ١ . وينظر : تفسير القرطبي ٢٣٦/٢٠ والبحر المحيط ٢٥/٨ .

(٥١) النور ٣٢ . وينظر : المحرر الوجيز ٣٠٠/١١ .

مسألة

إنْ قيلَ : قد اختلفَ التنزيل في قوله تعالى : « مِنْ حَمَإٍ مسنونٍ »(٥٢) (٩ب) « من طينٍ لازبٍ »(٥٢أ) « من ترابٍ »(٥٢ب) .

فالجوابُ :

وذلك متّفقٌ في المعنى ومفيدٌ أنّه خلقه من تراب جعله طيناً ثُمّ حمأً مسنوناً .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « ذَلِكُم بما كُنتُمْ تَفْرحونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وبما كُنتم تَمْرَحونَ »(٥٣) .

قيل : الفرح : السرور ، والمرح : البَطَر ، فسّروا بالامهال وبطروا بالنعم .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « وتواصَوْا بالحقِّ »(٥٤)

قيل : هو التوحيد . وقيل : هو القرآن . وقيل : هو اللهُ عزّ وجلّ .
«وتواصَوْا بالصبر »(٥٥) على طاعة الله . وقيل : على ما افترضَ اللهُ .
وقيل : على محارم الله واتباع الشهوات .

* * *

---

(٥٢) الحجر ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ . وينظر : تفسير القرطبي ٢١/١٠ .
(٥٢أ) الصافات ١١ . (٥٢ب) آل عمران ٥٩ وآيات اخرى .
(٥٣) غافر ٧٥ . وينظر : تفسير القرطبي ٣٣٣/١٥ .
(٥٤) العصر ٣ . وينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١٧٢ .
(٥٥) العصر ٣ .

مسألة

قوله تعالى: «ولقد كَتَبْنا في الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ» (٥٦) في الزّبور: أي في الكتاب، من بعد ذكرنا في السماء. وقيلَ: من بعدِ كَتْبه في أمّ الكتاب. وقيل: في الزبور: يعني زبور داود.

من بعد الذّكْر: يعني التوراة.

* * *

مسألة

قوله تعالى: «وإنّ للذينَ ظَلَمُوا عذاباً دونَ ذلكَ» (٥٧).

الذين ظلموا: هم أصحاب الصغائر وأصحاب الحدود.

ومعنى دونَ ذلك: أقلّ (١٠أ) من ذلك، فانّهم مُخَفَّفٌ عنهم العذاب.

* * *

مسألة

قوله تعالى: «ولا تموتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مسلمونَ» (٥٨).

وقع في ظاهر الكلام على الموت. وإنّما هو في الحقيقة على ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموتُ عليه. والمعنى: الزموا الاسلام فاذا أدرككم الموتُ صادفكم عليه، كما تقول: لا أراكَ هاهُنا (٥٩). موقع حرف النهي عن الرؤية، وأنت لم تَنْهَ نفسَك على الحقيقة بل نهيتَ المخاطبَ كأنّكَ قُلتَ: لاتقربنَ هذا الموضع فمتى جئته لم أركَ فيه. وهذا من سعة الكلام.

* * *

---

(٥٦) الأنبياء ١٠٥. وينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٧٠.

(٥٧) الطور ٤٧. وينظر: تفسير القرطبي ٧٨/١٧.

(٥٨) آل عمران ١٠٢. وينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس ٤٥٢/١.

(٥٩) في كتاب سيبويه ٤٥٣/١: لا ارينك ههنا.

مسألة

قوله تعالى : « لقد تابَ اللهُ على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ »(٦٠) .

في هذه التوبة وجهان :

أحدهما : استنقاذهم من شِدَّة القسوة .

والثاني : خلاصهم من مكايد العدوّ .

وقوله في آخر الآية : « ثُمَّ تابَ عليهم » . وهذه غير الأولى ، وفيها أيضاً قولان :

أحدهما : أنّ التوبة الأولى في الذهاب ، والتوبة الثانية في الرجوع .

الثاني : أنّ الأولى في السفر ، والثانية (١٠ ب) بعد العود الى المدينة .

فانْ قيلَ في الأولى : إنّ التوبة الثانية في الرجوع احتملت وجهين :

أحدهما : أنّها الإذن لهم بالرجوع الى المدينة .

والثاني : أنّها بالمعونةِ لهم في امطار السماء عليهم حتى حَيَوا .

فالتوبة على هذين القولينِ عامة .

وإنْ قيل : التوبة الثانية بعد خروجهم الى المدينة احتملت وجهين :

أحدهما : أنّ العفو عنهم في ممالأة من تخلّف عن الخروج معهم

والثاني : غُفران ما همَّ به فريقٌ في العدول عن الحقّ .

فالتوبةُ على هذين الوجهين خاصة .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « ثُمَّ تابَ عليهم ليتوبوا »(٦١) .

---

(٦٠) التوبة ١١٧ . وينظر : تفسير الطبري ١١/٥٤ وتفسير القرطبي ٨/٧٨ .

(٦١) التوبة ١١٨ . وينظر : تفسير القرطبي ٨/٢٨٨ .

أي : ليستقيموا على التوبة ، لأنّه قد تقدّمت توبتهم وإنّما امتحنهم بذلك استصلاحاً لهم ولغيرهم .

وقيل : ثم تابَ عليهم ليتوبوا : أي : قَبِلَ توبتهم ليرجعوا الى حال الرضى عنهم .

وقيل : ليتمسكوا بها في مستقبلِ أوقاتهم .

مسـألة

قوله عزّوجلّ : « انفروا خِفافاً وثِقالاً »(٦٢) .

قيل : خِفّة اليقين (١١ أ) وثقل اليقين .

وقيل : خِفافاً الى الطاعة ثِقالاً عن المعصية .

* * *

مسـألة

قوله تعالى : « ثُمَّ كانَ من الذين آمنوا »(٦٣) .

جاء بـ (ثُمَّ) هاهنا لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة ، لا في الوقت لأنّ الإيمان هو السابقُ المقدّم على غيره ولا يثبتُ عملٌ صالحٌ إلاّ بِهِ .

* * *

مسـألة

قوله عزّوجلّ : « قُلْ هو الرحمنُ آمَنّا بِهِ وعليه توكّلْنا » (٦٤) .

إنْ قيلَ : لِمَ أَخّرَ مفعول (آمنا) وقدّم مفعول (توكّلنا) ؟

---

(٦٢) التوبة ٤١ . وينظر : تفسير الطبري ١٠/١٣٧ وزاد المسير ٣/٤٤٢ .

(٦٣) البلد ١٧ . وينظر : البحر المحيط ٨/٤٧٦ .

(٦٤) الملك ٢٩ . وينظر : تفسير القرطبي ١٨/٢٢٢ .

فالجواب :

وذلك لوقوع (آمنا) تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيبَ ذكرهم ، فكأنَّهُ قيل : آمنا ولم نكفر كما كفرتم ، ثمّ قالَ : وعليه توكّلنا خُصوصاً لم نتكِلْ على ما أنتم متكِلون عليه من رجالِكم وأموالِكم .

* * *

مسألة

قوله عزّوجلّ : « وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِراً »(٦٥) .

أحسنُ ماقِيلَ في هذا قول سيبويه (٦٦) ، قال : عاينَ القومُ قدرةَ الله تعالى فقِيلَ لهم : هكذا كان . اي : لم يَزَلْ مُقْتَدِراً .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « خاشِعاً أبصارُهم »(٦٧) .

حال من الخارجين ، وهو فعل للابصار (١١ب) وذُكِّرَ كما تقولُ : يخشعُ أبصارُهم .

وقُرِىء : (خاشِعةً) على : تخشعُ أبصارُهم .

و(خُشَّعاً) على يخشعن أبصارهم . وهي لغةُ مَنْ يقولُ : (أكلوني البراغيثُ) (٦٨) ، وهم طيِّىء .

ويجوزُ أنْ يكونَ في (خُشَّعاً) ضميرهم، وتقع (أبصارهم) بدلاً منه .

---

(٦٥) الكهف ٤٥ . وينظر : تفسير الطبري ١٥/٢٥٢ .

(٦٦) عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠هـ . (مراتب النحويين ٦٥ وطبقات النحويين واللغويين ٦٦) .

(٦٧) القمر ٧ ، وفي المصحف الشريف : خشعاً . وينظر في قراءات هذه الآية : السبعة في القراءات ٦١٧ – ٦١٨ وتفسير القرطبي ١٧/١٢٩ – ١٣٠ والبحر المحيط ٨/١٧٥ – ١٧٦ .

(٦٨) ينظر عن هذه اللغة : دقائق التصريف ١٤٥ والجنى الداني ١٨٢ ومغني اللبيب ٤٠٥ .

وقُرِىء : (خُشَّعٌ أبصارُهم) على الابتداء والخبر ، ومحلَّ الجملة النصب على الحال ، كقوله : حاضِراً الجودُ والكرمُ .

وخشوعُ الأبصار : كناية عن الذِّلَّة والانخذال . لأنَّ ذِلَّةَ الذليل وعِزَّةَ العزيز تظهران في عيونهما .

* * *

مسألة

إنْ قالَ قائلٌ : لِمَ قالَ : «إنَّ في ذلكَ لآيةً لكم إنْ كنتم مؤمنين»(٦٩) وهي آية للجميع ؟

قِيلَ : معناه : إنْ كنتم مؤمنين بالله ، إذْ كان لا يصحّ العلم بمدلول المعجزة إلاَّ بِمَنْ آمَنَ بالله سبحانه ، لأنَّ العِلمَ بالمُرسِلِ قبلَ العلمِ بالرسول . ولأنَّ مَنِ استحقَّ صفة مؤمنٍ عللَ أنَّ ذلك من ارادة الله .

* * *

مسألة

إنْ قيل : هل شَكَّ العُزَيرُ ، عليه السلام ، في قوله تعالى : « أنَّى يُحيي هذه اللهُ بعدَ مَوْتِها »(٧٠) ؟

قُلنا : لا (١٢ أ) وذلك أنّه إنّما أرَادَ : كيفَ يُحيي اللهُ أهلَ هذه القريةِ بعدَ موتِهم ، قَصَدَ بذلك المعاينة للكيفية فأُري ذلك في نفسه وحمارِهِ لا على طريق انكار قدرة الله تعالى .

* * *

---

(٦٩) البقرة ٢٤٨ وآل عمران ٤٩ . وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٥٦/١ .

(٧٠) البقرة ٢٥٩ . وينظر : المحرر الوجيز ٢٩٠/٢ وتفسير القرطبي ٩٠/٢ .

مسألة

قوله تعالى : « فاغفِرْ لنا ذنوبنا وقِنَا عذابَ النارِ »(٧١).

وإذا غفرَ ذنبه فقد وقاهُ عذابَ النار ، وهل ذلك تكرارٌ أمْ هما مسألتان ؟

الجواب :

قيل : هما مسألتان :

احداهما (٧٢) : طلب ستر الذنوب بترك العتاب عليها وإخفائها عن أهل الحشر حتى لا يفتضح فيها .

والثانية(٧٣) : أن تحرسهم من عذابِ النارِ .

وقد يجوز أنْ تستر ذنبه ولا تعاقب عليه .

ويجوز أنْ تستر ذنبه وتعاقب عليه ضرباً من العقوبة ، فاذا ستره ورفع جميع التبعة عنه فقد تمّ له مُراده .

* * *

مسألة

قوله عزّوجلّ : « وكانوا فيه من الزّاهِدينَ »(٧٤) .

قال أبو اسحاق (٧٥) : ليست (فيه) داخلة في الصلة ، ولكنها تبيينٌ ، أي : زهادتهم فيه .

وحكَى سيبويه (٧٦) (١٢ب) والكسائي (٧٧) : زَهَدْتُ وزَهِدْتُ ، بكسر الهاء وفتحها .

* * *

تمّ الكلام في الآيات الكريمة والحمدُ لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد خاتم النبيين وسلّم عليه .

---

(٧١) آل‌عمران ١٦ . وينظر : تفسير الرازي ٢١٦/٧ – ٢١٧ .

(٧٢) في الأصل : احدهما . (٧٣) في الأصل : والثاني .

(٧٤) يوسف ٢٠ . وينظر : زاد المسير ١٩٧/٤ وتفسير القرطبي ١٥٧/٩ .

(٧٥) معاني القرآن واعرابه ٩٨/٣ . وأبو اسحاق الزجاج ، ت ٣١١ هـ .

(٧٦) الكتاب ٢١٩/٢ .

(٧٧) علي بن حمزة ، ت ١٨٩ هـ . (نور القبس ٢٨٣ وانباه الرواة ٢٥٦/٢).

مصادر البحث ومراجعه

- المصحف الشريف .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة : القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، ت ٦٤٦ هـ ، تح أبي الفضل ، مط دار الكتب ، مصر ١٩٥٥ - ٧٣ م
- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي . أثير الدين محمد بن يوسف ، ت ٧٤٥ هـ ، مط السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .
- بغية الوعاة : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١ هـ ، تح أبي الفضل ، الحلبي بمصر ١٩٦٥ .
- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، ت ٤٦٣ هـ ، مط السعادة بمصر ١٩٣١ .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ هـ ، تح البجاوي ، مصر ١٩٦٦ .
- التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء العكبري ، عبدالله بن الحسين ، ت ٦١٦ هـ ، تح البجاوي ، البابي الحلبيّ بمصر ١٩٧٦ .
- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) : الفخر الرازي ، محمد بن عمر ، ت ٦٠٦ هـ ، دار الفكر ، لبنان ١٩٨٥ .
- تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .
- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) : القرطبي ، محمد بن أحمد ، ت ٦٧١ هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .
- الجنى الداني في حروف المعاني : المرادي ، حسن بن قاسم ، ت ٧٤٩ هـ ، تح طه محسن ، مط جامعة الموصل ١٩٧٦ .
- الدرر المبثثة في الغرر المثلثة : الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧ هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨١ .

- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون : السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، ت ٧٥٦ هـ ، تح د. أحمد محمد الخرّاط ، دمشق ١٩٨٧ .
- دقائق التصريف : القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب ، كان حيّاً سنة ٣٣٨ هـ ، تح د. أحمد ناجي القيسي و د. حاتم صالح الضامن و د. حسين تورال ، بغداد ١٩٨٧ .
- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، ت ٥٩٧ هـ ، دمشق ١٩٦٥ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨ هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٧٩ .
- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ، ت ٣٢٤هـ ، تح د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
- سير اعلام النبلاء : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ هـ ، تح جماعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٤ .
- شعر الكميت بن زيد : د. داود سلوم ، النجف ١٩٦٩ .
- طبقات المفسرين : الداودي ، محمد بن علي ، ت ٩٤٥ هـ ، تح علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٢ .
- طبقات النحاة واللغويين : ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد ، ت ٨٥١ هـ ، مصورة عن نسخة الظاهرية .
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : زكريا الأنصاري ، ٨٢٦ هـ ، تح الشيخ محمد علي الصابوني ، الجزائر ١٩٨٨ .
- الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠ هـ ، بولاق ١٣١٦هـ — ١٣١٧ هـ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل : الزمخشري ، محمود بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ ، مط الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية الأندلسي . عبدالحق غالب ، ت ٥٤٦ هـ . وزارة الأوقاف والشؤون الدينية . المغرب ١٩٧٥– ١٩٨٨ (صدر منه اثنا عشر جزءاً) .
- مسالك الأبصار في ممالك الأبصار : ابن فضل الله العمري . شهاب الدين أحمد بن يحيى . ت ٧٤٩ هـ ، صورة عن مخطوطة أحمد الثالث باستانبول . منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية . المانيا ١٩٨٨ .
- مشكل اعراب القرآن : مكي بن أبي طالب القيسي المغربي ، ت ٤٣٧هـ . تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤ .
- معاني القرآن : الأخفش . سعيد بن مسعدة ، ت ٢١٥ هـ . تح د. فائز فارس ، الكويت ١٩٧٩ .
- معاني القرآن : الفراء ، يحيى بن زياد . ت ٢٠٧ هـ ، الأول تح نجاتي والنجار ، والثاني تح النجار ، والثالث تح شلبي . القاهرة ١٩٥٥ – ١٩٧٢ .
- معاني القرآن الكريم : النحاس . أبو جعفر أحمد بن محمد . ت ٣٣٨هـ ، تح الشيخ محمد علي الصابوني . مكة المكرمة ١٩٨٨ .
- معاني القرآن واعرابه : الزجاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري ، ت ٣١١ هـ ، تح د. عبدالجليل عبده شلبي ، بيروت ١٩٨٨ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي ، القاهرة .
- مغني اللبيب : ابن هشام الأنصاري . جمال الدين عبدالله بن يوسف ، ت ٧٦١ هـ ، تح د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، لبنان ١٩٦٤ .
- مواد البيان : علي بن خلف الكاتب ، ت بعد سنة ٤٣٧ هـ . تح د. حاتم صالح الضامن ، نشر في مجلة المورد م ١٧ ع ١–٣ . وم ١٨ ع ١–٣، بغداد ١٩٨٨ – ١٩٨٩ .

ذ

- نور القبس من المقتبس : اليغموري ، يوسف بن أحمد ، ت ٦٧٣ هـ ، تحـ زلهايم ، مط الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤ .
- الوافي بالوفيات : الصفدي ، خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤ هـ ، منشورات المعهد الألماني للأبحاث ببيروت ١٩٣١ . . . .
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى القارىء ، أواخر ق ٢ هـ ، تحـ د. حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٨٨ .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد : الواحدي ، علي بن أحمد ، ت ٤٦٨هـ، تحـ محمد حسن أبو العزم الزفيتي ، القاهرة ١٤٠٦ هـ .
- وفيات الأعيان : ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ، ت ٦٨١هـ، تحـ د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .